Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«فلما أُخرِجَتْ جرهم من مكة حزنوا على ما فارقوا من أمن مكة وملكها حزنًا شديدًا، وقال شاعرهم «عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى من بكائية له شجية:

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مبادرُ ... وقد شرقتْ بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ
فقلت لها والقلب منى كأنما ... يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالى والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ملكنا فعززنا فأعظمْ بملكنا ... فليس لحى غيرنا ثَم فاخر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك، يا للناس، تجرى المقادرُ
وصرنا أحاديثًا وكنا بغبطة ... بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحَّت دموع العين تبكى لبلدة ... بها حرم أمْن وفيها المشاعر

قال ابن اسحاق: ثم إن قبيلة من خزاعة استبدت بولاية البيت، يتوارثون ذلك كابرًا عن كابر، فقام لهم «قصى بن كلاب» ورأى أنه - وهو من صريح ولد إسماعيل - أولى بالكعبة ويأمر مكة من خزاعة وبنى بكر، فكلم رجالاً من فهر وبنى كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة، فقاموا لنصرته حتى غلب على أمر مكة وجمّع قريشًا وأنزلهم منازلهم وولى ما كان من وظائف دينية بها، واستحدثِ وظائف الجحابة والرفادة والسقاية واللواء، فحاز شرف مكة كله، ودانت له قريش، وتيمنت بأمره فكان فى حياته ومن بعد موته كالدِين المتبع، واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها فإذا وقعت حرب بينهم فى شهر حرام لم يُنسأ، كانت حربَ فجار».

* * *

«قُصَىُّ بن كلاب بن مرة» هو الجد الرابع للمصطفى الهاشمى ﷺ، والجد التالت لأمه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قصى. وإلى عام المولد» كانت الشواهد تترى بما للبيت العتيق من حرمة، وما يصيب الذى يستحل حرمته من هلاك، على ما يأتى من خبر أصحاب الفيل فى موضعه من سياق الأحداث. ثم ما كان من ذلك بعد المولد، وقبل مبعث المصطفى ﷺ.

فى هذه البلدة المرهفة الحس الدينى، المضناة بالقلق والحيرة، المتطلعة إلى حياة جديدة، كان مولد محمد بن عبد الله، ومبعث نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام: اصطفاه الله تعالى من بنى